

يوميات تجت عن عنوان

بقلم محمد عبد الله الشفقي

محمد عبد الله الشفقي

النافورة .. والسلام .. والشباب الضائع

ميدان أسبانيا بروما

في ميدان أسبانيا جلست كالمسحور أكثر من ساعة . أن اجلس أكثر من ساعة في مكان واحد بروما معناه أنني مشدود اليه مثلما تكون ابرة البوصلة مشدودة الى الشمال . ذلك أن وقتي في روما قصير لا يتسع للوقوف والتريث . ولكنني تلكت عند ميدان أسبانيا وجلست على أرضه دون أن أعبا بالساعات ، ودون أن أهتم بالأشياء التي لم أرها بعد وعلي أن اراها .

ميدان أسبانيا . اسم موسيقي جميل ، وبخاصة كلمة اسبانيا ، وما تحمله من ذكرى عزيزة جلبتها معي من مايوركا وبرشلونة . هذا هو السلم العريض المتعدد الدرجات . السلم المشهور الذي يظهر في معظم الصور التي تعرض لجوانب الحياة في روما . على درجاته جلس شيلي أو كيتس - لا أكاد اذكر ايهما على وجه التحديد . من يدري .. ربما جلس الاثنان هنا .

ذهبت اليه في الظهرية .. وحدي .. عدت اليه متلصقا بعد ان زرتة في المرة الاولى مع جمع من رفاقنا في السفر . كانوا يهرولون، يرون كل شيء بسرعة ، يقولون : حسن .. هذا اذن ميدان أسبانيا .. ما شاء الله .. ولكن هيا بنا لنرى الكوليزيوم .. ولا تنسوا يا جماعة نافورة التمنيات .. الخ .. الخ ..

تمردت .. قررت أن أحج الى ميدان أسبانيا وحدي ، أن اجلس سناك حتى أشبع ، ولاضح بوجبات أخرى شهية في سبيل وجبة كهذه . القناعة كنز لا يفنى ، وعملية الفرجة ليست عملية رمرمة ، وليست الشطارة أن أرى كل شيء ، المسألة ليست مسألة فوائمه ، وانما مسألة هضم واستيعاب وتأثير ، وقد يفني القليل عن الكثير .

أين اجلس ؟ أوه .. لا حرج .. على درجات السلم ، أو على الارض ، أو على حافة النافورة . لن يهتم بك أحد ، الكل هنا على سجيته . أهو حي لايني في إيطاليا ؟ ربما كان هذا صحيفا ! على السلم الشاهق البياض ، على السلم العريض المتعدد الدرجات تجلس فتيات ساهمات ، يرتدين ملابس داكنة ويتركن شعورهن مرسله ويلبس بعضهن نظارات ، يجلسن في افعال ولا مبالاة وتفكير عميق ، ربما في لا شيء . ويجلس شبان منقوشو الشعر ، يجلسون أيضا في عدم اكترات .

ابتعدت عن هذه المظاهرة اللاتينية وجلست على حافة النافورة . انها نافورة مستظيلة تكاد تشبه قاربا أسطوريا . والزمن قد أكل من بعض جوانب القارب ولكن المسؤولين عنه رمموه بالاسمنت ، فبدأ غير منسجم مع عراقة المادة الاولى التي كانت في يوم من الايام شاهقة البياض . والماء يسيل من الجوانب الضعيفة في القارب الاسطوري وينسكب في حوض كبير يحف بهذا القارب ، وحول الحوض سياج دائري ، وأنا اجلس فوق هذا السياج ، ولكني أجد نفسي وسط جمع من الناس ، من مختلف الجنسيات : أمريكيون وألمان وبريطانيون وإيطاليون بالطبع ..

إيطاليون من أهل البلد ..
وتر عربية يجرها حصان ويسوقها حوذي . وتتوقف العربية وتتوقف الحصان ويهبط الحوذي ويتقدم من النافورة ويشرب من مائها المشلج ، ويمسح فمه بكفه ويستأنف رحلته المجهولة .. ويتأهب أحد الجالسين عند الحافة ويقفل كتابه الفرنسي ، ويشرب من ماء النافورة ، ثم يعود

الى مكانه ويجفف فمه بمنديل متفضن ، ويفتح كتابه الفرنسي . وسائحة عجزت تكتب بطاقات الى أهلها في أرض الوطن . ربما تكتب الان : أنا بخير .. أكتب لكم من ميدان أسبانيا .. اشتريت لسام الصغير معظما جميلا . قبلاتي لكم .. سأعود بعد اسبوع .

ربما .. ان كل شيء هنا لا يمكن أن يخضع الا لكلمة ربما .. كل شيء هنا مغلف بغلاف أسطوري غامض ، غلاف ليس من أرضنا على كل حال .. حتى دقائق الساعة التي تصدر السلم الذي يختنق بدرجاته المدينة الرجبة ، انها تبدو غريبة تحت شمس الظهرية .

الوقت هنا لا حساب له ، لان كل من يجلس في هذا الميدان لا يبالي بشيء ، حتى أنا لم أعد هنا أبالي بشيء ، نسيت المواعيد والمناطق الاخرى التي يجب أن أزورها وظلت عيوني مشدودة بعض الوقت الى المجموعة القريبة التي تجلس بجانبني . انها مجموعة ايطالية دون شك ، يبدو هذا من تقناتها بنفسها وما يبدو في وجوه اصحابها من اعتيادهم هذا المكان .. ثم أقطع الشك باليقين حين أسمع زنين الكلمات الايطالية من أفواههم .

مجموعة من الشبان وفتاة واحدة خلتها في باديء الامر شابا أيضا .. شعرها قصير للغاية ، وملامحها صارمة ، وساقها مختفيان تحت البلوجينز الكالحة المبهدة . وعيناها المرهقتان بالسهر تختفيان وراء نظارة طبية . وأخذت تتكلم والكل ينصت ، تتكلم دون ان تضحك .. بعصبية وجدية وإشارات متحمسة من أصابع يديها .. من المؤكد انها تناقش وتجادل .. ربما في نزع السلاح أو موقف أدبيهم مورافيا من الجنس ..

أهو الجيل الضائع .. أو جيسل النقر Beat Generation

... أو جيل الشباب الساخط ؟ لا أدري على وجه التحديد .. ولكنه يذكرني بهم على كل حال . ومن المؤكد أنهم لا يذهبون الى المدارس والكلبات بانتظام ، ولكن واضح أيضا أنهم يقرأون كثيرا ، ولا مانع من أن يعنق بعضهم ، أو معظمهم ، الشيوعية !

الفتاة على جانب كبير من الدمامة والتوحش ، ولكن شيئا خفيسا فيها يجذبك . يبدو انها ذكية لامة ، ويبدو انها مرت أيضا بتجارب كثيرة مريرة ، منها الصلابة والجلوس معظم ساعات النهار في الميدان ، ميدان أسبانيا .

بالقرب منا ، على الحافة المظلة على ماء الحوض ينام أحد الشبان! أي والله .. ينام أحد الشبان في طمانينة ولا مبالاة منهسلة .. فوق الحافة التي تتسع لظهره .. الحافة التي عرضها مسطرة واحدة لا أكثر ولا اقل . مرت بنا ساعة وهذا الشاب نائم وقد اتخذ من حقيبة مملوءة بالكتب « أو الملابس المتسخة » وسادة له . نام بالينظلون والقميص والشعر المنفوش .. في طمانينة يحسد عليها .

النافورة تتدفق ماء والاوتوبيسات تظهر وتختفي والسياح يتقاطرون ويجلسون ثم يشبعون من الجلسة فيقومون ، وهذا الشاب ما زال نائما كتمثال . لم يتحرك أبدا ، وحسنا فعل ، اذ لو تحرك لوقع في الماء او في الشارع . كانه يسكن هذه النافورة ويحرسها .. والا فلماذا كسل هذا الاطمئنان ؟ والتقطت له صورة فوتوغرافية ما زالت عندي . انه نائم وحوله الناس جالسون ووراءه السلم الحافل بالتاريخ الطويل . والساعة تعذب نفسها وتدق من حين لآخر وهو لا يصحو .

أحسست بأن هذا الشاب النائم يعرف كل افراد الشلة اليقظسة التي تجلس بجانبني وترأسها هذه الفتاة الغريبة . بعد لحظات نهضت

الشلة وتركت النافورة وجو النافورة ، ولم تختف من الميدان ، وانمسا تناثرت على درجات السلم فذكرتني بسلاسل الاوديسا في فيلم ايزنشتاين الشهير .. تناثرت وتركت فتاها النائم .

الشلة ناعسة تحت شمس الظهر والفتاة التي تضع على عينيها النظارة الطبية وتحبس ساقيها داخل البلوجينز الضيق تستند برأسها الى صدر احد افراد الشلة ، لا يهم من ، لانها استندت بعد ذلك الى صدر اخر . يرين على الجميع صمت قريب .

الساعة تدق وانا لا احسب لها حسابا . تشرق في الميدان فتساة جميلة جدا وانيقة جدا . تتجه في خطوات ايجابية الى الفتى النائم . تجلس بجانبه . تميل عليه . تنحني برأسها فوق رأسه . توظفه في حنان . اختطف الة التصوير السينمائي من حقيبتي واضبط الرؤية، ولكن المنظر يفقد كل مقوماته الدرامية بسبب ترددي . يهض التسي، يتلفت حواليه وكأنه يسأل : الساعة كام الان ؟ وينظر الى الفتاة الجميلة في غير اكرات .

تركه . تسبقه الى درجات السلم . تجلس مع الشلة ولا تتكلم . ثم تتبادل مع الشلة عبارات بسيطة . يتجه صاحبنا النائم الى النافورة ويخلع نظارته السمكة الداكنة ويفسل وجهه ورقبته ، ثم يجفهما بمندبيله .. ويسير بخطوات وثيدة نحو السلم . ويجلس هناك ويتحدث مع فتاته ومع الاخرين .

هذه الفتاة ازعجتني كثيرا . كيف يرمغ هذا الجمال نفسه في هذه الفوضى المزعجة ، وما الذي دفع بها الى هذه الشلة المثقفة ؟ لا يبدو عليها أنها في ثقافة صاحبتنا ذات الملامح العادية والاشارات العصبية . ان صاحبتنا تنظر اليها في شك وتوجس ، هل سيطفي جمالها على كل شيء ويجلب الشلة اليها ؟ ثم يرد في ذهني خاطر ؟ هذه الفتاة الجميلة سطحية ، وقد التقت بهذه الشلة الجهمية في مناسبة او اخرى فوجدتها على جانب كبير من الذكاء ، ووجدت ان الشلة تحنقها لتفاهتها فحاولت ان تثبت قيمتها ، وبانها تستطيع ان « ترقى » الى مستواهم، وكان ان اندمجت معهم .

ولكنك تحس انها غريبة عنهم .. غريبة في كل شيء .. انها تجلس ثم تتململ في جلسنها فتقف .. تقف قبالتهم وتتحدث معهم وهم يجلسون في فتور ، متناثرين على درجات السلم .. تقف قبالتهم وهي غريبة عنهم .. غريبة في كل شيء .. هي جميلة وهم على جانب كبير من الدمامة .. انيقة وهم يؤثرون البهدة ويتعمدونها .. بنت ناس فيما يبدو .. اما هم فيعيشون بلا طبقة وربما هاجموا وشككوا في جدوى الاصل والمحتد .

على مبعدة منهم .. على الطوار .. يجلس شابان زنجيان .. بيتسمان من حين لآخر ويكشفا عن أسنان بيضاء جدا . يصلحان للرقص الزنجي والروك اند رول وموسيقى الجاز والكهوف . يجلسان بعيدين عن الشلة ولكن خيطا دفيئا يربطهما بها .. مثلما ربط بين هذه الشلة والشباب الذي كان نائما ثم ايقظته هذه الجميلة .

ساحة غريبة تلك الساحة المسماة بميدان اسبانيا .. وكل ما فيها غرب يشعرك بالدهشة والذهول ، الى ان تبدو أنت نفسك جزءا منها، جزءا غربيا يجلس في الشمس في كسل وفتسور ويرمق الساترين والساترات في غير فضول ، وتدور في ذهنه افكار وخواطر غريبة، ويفكر ايضا في ان يكف عن الانتظام في مدرسة وان يجرب ، ولو يوما ، تلك الحياة التي يحيها هؤلاء المتناثرون على السلم التاريخي.

الحب في الظهيرة - روما

روما . شوارعها الضيقة جميلة . شوارعها الضيقة مستقيمة هادئة .. خاصة في الظهيرة . الظلال تحتل جانبا منها ، والشمس تضرب بسيطها الجانب الاخر . ما أقسى روما في شمس أغسطس . الشوارع والمباني والاعصاب تكاد تذوب من الحر .

صدر حديثا :

أصا بئنا التي تحرق

رواية بقلم :
الدكتور سهيل ادريس

فازت اخيرا بجائزة ((اصدقاء الكتاب))

لافضل رواية لبنانية صدرت هذا العام

منشورات الآداب

الثلث ٤ ل.ل.

الوقائع العربية

مرجع فصلي لاهم الاحداث السياسية والاجتماعية في الدول العربية

تنشرها

دائرة الدراسات السياسية في الجامعة الاميركية-بيروت
صدر العدد الثاني للفترة ما بين الاول من نيسان
واخر حزيران سنة ١٩٦٣

تطلب من مكتب التجهيز والبيع - الجامعة الاميركية -
بيروت

الثمن ٢٢٥ غ . ل .

روما . شوارعها الضيقة الجميلة مغطاة بالبلاط الاسود المتين ،
الذي يلعب في الشمس وفي الظل ، ويشعرك بالثقة والاطمئنان والاصالة .
الشوارع الضيقة المستقيمة في صراحة تفضي الى ميادين . وفي الميادين
نافورات تكاد مياهاها تتبخر تحت شمس الظهيرة ، وفي الميادين أيضا
تماثيل جربت الشمس وجربت الامطار ، ومسلات ملتفة - كسمار
محمى - تتعبد في شمس أغسطس .

أسير في هذه الشوارع لاني أعبد الظهيرة وأعبد هدوءها . اننان
من الموظفين الايطاليين يتبادلان عبارات مقتضبة ثم يتبادلان عبارات
الوداع . ويلحق أحدهما بأوتوبيس فارغ .

لان الظهيرة ، في كل مكان ، هادئة مستقيمة عامرة بالاوتوبيسات
الفارغة . وأنا أقصد بالظهيرة هنا ما بعد الساعة الثالثة . ان اللحظات
التي تعقب الساعة الثالثة ذات طعم خاص ورائحة خاصة وجرس خاص .
يفترق الموظفان ولكن عباد الحب يلتقون . ان حب الظهيرة ، حين
يلتقي العامل أو البائع الايطالي بالعاملة أو البائعة الايطالية ، قبل أن
تفتح المصانع والمحال ابوابها من جديد عندما تدق ساعات الكانديريات
والكنائس والميادين دقائقها الاربعة .

كانت تنتظره عند باب المتجر المفلق . المتجر الذي تعمل فيه بدون
شك . بعد لحظات يقبل هو . يتعانقان . يسيران متشابكي الايدي في
شوارع روما الضيقة المغطاة بالبلاط الاسود المتين . يتبادلان القبيل .
يسيران وقد أحاط خصرها بأحدى ذراعيه ونام رأسها على كتفه اليسر .
بيضاء ، في بياض التماثيل المرمرية التي تملأ بلدها . شعرها اسود
فاحم . ناعم جدا . ترتدي معطفا أبيض اللون ، من القماش الخفيف ،
معطفا بأزرار ، الفجوات التي تسمح بها الأزرار تؤكد لك أنها لا ترتدي
قميصا . ان حر أغسطس يفر لها كل شيء .

بعد لحظات تمثلي شوارع روما الضيقة بالمحبين الذين لا يريدون
أن تدق ساعات الكانديريات والكنائس والميادين دقائقها الاربعة .

لان الدقائق الاربعة معناها أن المتجر سيفتح ابوابه ، وأن الشارع
الضيق سيقول للهدوء والصمت وداعا . وسيفترق المحبان .

ان النقاء المحبين في هذه الساعات الهادئة لا يعني أنهم يخافون
الناس . كل ما في الامر أن هذه هي ساعات الراحة من العمل .
الايطاليون (والاسبان) صرحاء للغاية ، لا يهمهم أحد . الحب مباح في كل
مكان . حتى في الاوتوبيس .

اعتدنا على هذه المشاهد - نحن المصريين - ولكن بعد جهد . تقلبنا
على الصدمات الاولى في جزيرة مايوركا . أصبحنا لا ننظر الى المحبين
(الا بمؤخرة عيوننا ، وهذا أضعف الايمان !) بعد أن كنا نقف ، ونلتفت
اليهم ، ونففر أفواهنا في بلاهة !

أقسم انني لم أعد أنظر الى هذه المشاهد الا بطريقة عابرة ، حتى
لا يعتبروني فلاحا بدائيا . غير ان النظرة العابرة كانت كافية لرسم
اللوحة . في هذه اللوحة تجد فني وفتاة يصعدان الاوتوبيس ، يدفع
الفتى ثمن تذكريتين للكمساري ، يناوله الكمساري التذكريتين ، لا يجد
المحبان - في أكثر الاحيان - أماكن خالية فيكنفيان بالوقوف في مؤخرة
الاوتوبيس . يقف بجوارهما أناس كثيرون ، ولكن مش مهم . يمسك
يدها بكلتا يديه ، يعتصر اليد ، ثم يخطف قبلة . يتبادلان الهمس
وتمسك بياقة سترته في اعتزاز ودلال وتظل تحدنه وعيناها شبه
مغمفتين واصابعها الجميلة تعبت بأزرار السترة في اعتزاز ودلال .
يشم شعرها . يمسحه بيده . يماود الكرة . يقلبها من جديد . لم أعد
أختلس النظر اليهما ولكني أختلس النظر الى من يقفون حولهما . ولا
كانهم هنا !! نظرت الى المعجزة بصفة خاصة لاني أعرف أن المعجزة لا
يعجبهم الحال أبدا . غير اني وجدت المعجزة هادئة مستقرات .
راضيات عن الاوضاع كل الرضا .

محمد عبد الله الشافعي